محاضرة الدراسات العليا الماجستير لغة الخلاف في توجيه الكاف في قوله تعالى:

أرأيتك في القرآن الكريم

أ.د. ليث قهير عبد الله

مناقشة الطالبة بديعة حسن علي

المطلب الأول

كيفية توجيه الكاف في لفظة أرأيتكَ

في القرآن الكريم

١-توجيه الكاف في سورة الأنعام وقد وردت في موضعين ولها نفس التوجيه

الأول قال تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " سورة الانعام ٤٠ .

الثاني قال تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ " سورة الانعام ٤٧ .

في توجيه كاف في لفظة أرأيتكم في هذه الآية الكريمة ثلاثة مذاهب ويقع الخلاف في التوجيه بين التاء والكاف

١-مذهب البصريين : " إن التاء هي الفاعل وما لحقها يدل على اختلاف أغنى اختلافه عن اختلاف التاء "

وعلى هذا المذهب تكون التاء فاعل والكاف حرف خطاب .

وقد عارض هذا المذهب الفراء ، وهو أحد علماء المدرسة الكوفية فقال : " موضع الكاف نصب وتأويله رفع كما أنك إذا قلت للرجل دونكَ زيداً وجدت الكاف في اللفظ خفضاً وفي المعنى رفعاً لأنها مأمورة " .

وما نفهمه من كلام الفراء أن ضمائر النصب التي من ضمنها الكاف قد أستعيرت في هذا الموضع للرفع وعليه سيكون الكلام إبدالاً وتصحيحاً وهو مذكور في علم النحو .

أما الكسائي فيوجهها توجيهاً مختلفاً عن سابقيه . وبما ان الكسائي احد علماء المدرسة الكوفية فهذا الخلاف بين الكسائي والفراء سيمثل لنا الخلاف بين علماء المدرسة الكوفية أنفسهم فيقول الكسائي التاء فاعل وإن أداة الخطاب اللاحقة بها وهي الكاف في موضع المفعول الأول .

ويقول الأخفش

الكاف التي بعد التاء في قوله تعالى " أرأيتكم " انما جاء للمخاطبة وبقيت التاء مفتوحة كما لو كانت للواحد وهي مثل كاف " رويدك زيداً " فالكاف هنا ليس لها موضع فتسمى بجر ولا رافع ولا ناصب ، وانما هذه الكاف للمخاطبة مثل كاف " ذاك " .

٢-الخلاف في توجيه الكاف في سورة الاسراء

قال تعالى " قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا " ٦٢ .

لم ارَ ان هناك اختلاف كبير بين توجيه الكاف في " أرأيتكم " من سورة الانعام ، وتوجيهها في " أرأيتك " من سورة الاسراء حتى ان كثيرا من المصادر التي اطلعت عليها لم تتوسع عن تطرقها لـ " أرأيتك " في سورة الاسراء وهناك من اكتفى بالإشارة الى انه قد فصل فيها القول في سورة الانعام .

فقال الزمخشري : " أرأيتك " الكاف للخطاب ، هذا مفعول به ، والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمت عليّ ، أي فضلته ، لم كرمته عليّ وانا خير منه ؟ فاختصر الكلام بحذف ذلك يدل قول الزمخشري ان هناك جزئية من الكلام محذوفة وقد يكون ذلك للإيجاز لان القرآن نزل بلغة العرب ، والعرب تميل الى الإيجاز.

أما أبو حيان يقول هذه الكاف للخطاب ، ولا يلحق كاف الخطاب هذا الا اذا كانت بمعنى أخبرني وبالمعنى هذا قدرها الحوفي وتبعه الزمخشري وهو قول سيبويه فيها والزجاج ، ويقول الحوفي هي بمعنى أخبرني وعَرِّفني ، هذا منصوبة لـ أرأيتك .

اما الفراء فيعود ليؤكد ما جاء به من توجيه للكاف في " أرأيتكم " من سورة الانعام ، ويرى ان الكاف في " أرأيتك " لها موضع من الاعراب ومحلها النصب ويقيسها على قولك : أتدبرت آخر أمرك فإني صانع فيه كذا .

وعلى هذا تكون الكاف اما في موضع نصب ، هذا مبتدأ واما ان تكون الكاف حرف خطاب ، هذا مفعول به .

ويرى ابن عطية ان الكاف هنا حرف خطاب ولا محل لها من الاعراب ومعنى " أرأيت " أتأملت ، فكأن المخاطِبَ ينبه المخاطَب ليستجمع ما ينص عليه بعد .

وهكذا وجهها الزجاج والنحاس .

المطلب الثاني

ماهي الأدلة والردود لكل فريق

١-الأدلة

يقول أبو البقاء العكبري : وقد ذكر الكلام في " أرأيتكَ " في الانعام وقد جعلت هذا القول منطلقاً لي كي اسرد الأدلة والردود على توجيه الكاف في الآيتين دون فاصل بينهما

جاء في الدر المصون

وبعد ان حكى أبو البقاء المذهب البصري قال " الدليل على ذلك – أي الكاف – لو كانت اسماً ، لكانت إما مجرورة وهو باطل – إذ لا جار هنا – وغما مرفوعة وهو باطل ايضاً لأمرين احدهما : ان الكاف ليست من ضمائر الرفع ، والثاني انها لا رافع لها ، اذ ليست فاعلاً ، لان التاء فاعل ، ولا يكون لفعل واحد فاعلان واما ان تكون منصوبة وذلك باطل " .

بعد ان ذكر أبو البقاء العكبري ان الكاف ليست مجرورة ولا مرفوعة وبين ان التاء هي الفاعل ولا يمكن ان يكون للفعل فاعلان ، ذكر انه ايضاً لا يمكن ان تكون الكاف منصوبة وبطل ذلك لثلاثة أوجه :

الأول : ان هذا الفعل – أرأيت – يتعدى الى مفعولين ، مثل " أرأيت زيداً ما فعل " فلو جعلنا الكاف في أرأيتك مفعولا ثالثا وبهذا تصبح لـ أرأيت ثلاثة مفاعيل .

الثاني : انه لو كان مفعولا لكان هو الفاعل في المعنى ، وليس المعنى على ذلك ، فليس المقصود أرأيت انت نفسك ، بل المعنى أرأيت غيرك ، ولذلك قلت أرأيت زيداً وهنا زيد ليس مخاطب ولا بدل منه .

وبالوجه الثالث يبين العكبري ان الكاف ليست مفعولا به والدليل عدم ظهور علامة التثنية او الجمع او التأنيث في التاء .

الثالث : انه لو كان منصوبا على انه مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع والتأنيث فكنت تقول : " أرأيْتَكَمَا ، أرأيتَمُوكُمْ ، أرأيْتَكُنَّ " .

ويقول الرازي ان الضمير الثاني وهو الكاف في قولك أرأيتك لا محل له من الاعراب ، ودليله على ذلك قوله تعالى أرأيتك هذا الذي كرمت علي فقاسها على سورة الاسراء يقول ايضاً أرأيتك زيداً ما شأنه فلو جعلنا للكاف محلاً من الاعراب فكأننا نقول : " أرأيت نفسك زيداً ما شأنه " فذلك كلام فاسد فثبت ان الكاف لا محل له من الاعراب .

اما الفراء فقد قدم دليله قائلاً :

" لو كانت الكاف توكيداً لوقعت التثنية والجمع على التاء ، كما يقعان عليها عند عدم الكاف ، فلما فتحت التاء في خطاب الجمع وقعت علامة الجمع على الكاف ، دل ذلك على ان الكاف غير مذكور للتوكيد ألا ترى ان الكاف لو سقطت لم يصلح ان يقال لجماعة أرأيت فثبت بهذا انصراف الفعل الى الكاف وانه واجبة لازمة مفتقرة اليها "

وقد انتصر لمذهب الفراء أبو بكر فقال : " لو كانت الكاف توكيداً لوقعت التثنية والجمع بالتاء ، كما يقعان بها عند عدم الكاف فلما فتحت التاء في خطاب الجمع وقع ميسم الجمع لغيرها كان ذلك دليلاً على ان الكاف غير توكيد .... " .

فلم اجده قد قدم دليلاً آخر او اثباتاً لكلام او دليل الفراء بل هو مجرد إعادة لكلام الفراء.

٢-الردود

وقد رد بعض العلماء على هذه الأدلة ، واكثر الردود كانت الفراء ، واقلها على المذهب البصري ، اما الرد على الكسائي فقد توصلت اليه من خلال دراستي لهذا الموضوع .

على المذهب البصري لم اجد شيئاً مقنعاً لرد هذا المذهب او ابطاله ولم اجد من تكلم سوى أبو ابكر الذي أوردت رأيه في الأدلة ولم يكن فيه شيء جديد بل هو مجرد تكرار لكلام الفراء.

اما على الفراء قد رد أبو إسحاق قائلاً : " هذا محال لكن الكاف لا موضع لها من الاعراب ، بل هي زائد للتوكيد كما يقال : ذلك ، وفيه التثنية تقول العرب على هذا في

التثنية أرأيتكما زيداً ما شأنه ، في الجمع أرأيتكم زيداً ما شأنه ، وفي المرأة أرأيتك زيداً ما شأنه "

وممن ردوا ايضاً على الفراء الزمخشري فقد جاء في الكشاف " الضمير الثاني لا محل له من الاعراب ، لأنك تقول أرأيتك زيداً ما شأنه ، فلو جعلت للكاف محلاً لكن كأنك تقول أرأيت نفسك زيداً ما شأنه ؟ ، وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره : ان اتاكم عذاب انه "

وقد رد الواحدي رأي الفراء بقوله " هذه الحجة تبطل بكاف ذلك وأولئك فان علامة الجمع تقع عليها مع انها حرف للخطاب مجردة عن الاسمية " .

وقد عد أبو البقاء العكبري ان رأي الفراء باطل فبعد ان أورد الأدلة للمذهب البصري قال : " وقد ذهب الفراء الى ان الكاف اسم مضمر منصوب في معنى مرفوع وفيما ذكرناه من الأدلة ابطال لمذهبه " .

اما الكسائي فقد وجه التاء فاعل ، و الكاف مفعول اول ، وبهذا تكون أرأيت بمعنى الرؤية البصرية وليس الرؤية الخبرية ، وبهذا يبطل مذهب الكسائي والرؤية البصرية لا تلحق بها الكاف وجاء في الدر المصون " أرأيت " ان كانت البصرية او العلمية الباقية على معناها فهذه لا يجوز ان تلحقها كاف على انها حرف خطاب ، بل ان لحقتها كاف كانت ضميراً مفعولاً اولاً ويكون مطابقاً لما يراد به من تذكير وتأنيث وافراد وتثنية وجمع .

وبهذا يكون الكسائي قد وجه التاء ، و الكاف في " أرأيتك " على انها الرؤية البصرية وبهذا يبطل مذهبه.

وبهذا يكون مذهب المدرسة البصرية أصح المذاهب واليه يذهب النحويون الموثوق بعلمهم .

يقول الزجاج " ان الذي يذهب اليه النحويون الموثوق بعلمهم ان الكاف لا موضع لها وانما المعنى أرأيت زيداً ما حاله انما الكاف زيادة في بيان الخطاب وهي المعتمد عليها في الخطاب " .

الخاتمة :

كما جعلت الحمد بداية لكلامي اجعله ختامه ، بعد هذه الدراسة البسيطة توصلت الى أمور احسب فيها شيئا من الصواب.

ان الخلاف في المسائل النحوية لم يكن بين المدارس بل قد يكون بين علماء المدرسة الواحدة كما لاحظناه بين الكسائي والفراء فكلاهما من مدرسة الكوفة وقد اختلفا في توجيه الكاف .

ان الآراء التي جاءت بتوجيه الكاف في " أرأيتك " مخالف للبصريين باطل وقد اثبت ذلك من خلال الأدلة والردود التي أوردتها.

اختلفوا في توجيه التاء والكاف وما رجحته وتوصلت اليه هو ما عليه اكثر النحاة الموثوق بعلمهم وهم على المدرسة البصرية أي ان التاء فاعل والكاف ضمير للخطاب لا محل له من الاعراب .